وبغض النظر عن ذلك هناك ناحية في دراستي يمكنها التضليل ، حيث انني لا أبحث بشكل استنفادي التطورات الالمانية في أعقاب الفترة التدشينية التي يسيطر عليها ساسي ، باستثناء اشارات متفرقة هنا وهناك . فكل عمل دراسي يسعى إلى تقديم فهم للاستشراق الاكاديمي ولا يمنح اهتماما كافيا لعلماء أمثال شتاينتال وموللر وبيكر وغولدتسيهر وبروكلمان ونولدكه ــ لكي نكتفي بذكر حفنة منهم فقط ــ يحتاج إلى التقريع ، ولذا أبادر تلقائيا إلى تقريع نفسي ، وأشعر بالأسف على الأخص لأنني لم آخذ اكثر بعين الاعتبار تلك المكانة العلمية العظيمة والمرموقة التي استحقتها الابحاث العلمية الألمانية عند منتصف القرن التاسع عشر ، حيث أدى إهمالها إلى أدانة الباحثين البريطانيين المحصورين في جزرهم على يد جورج اليوت . هنا تحضرني الصورة التي لا تنسى والتي رسمتها جورج اليوت للسيد كازوبون في رواية « **ميدل مارش** » (أواسط آذار) إن أحد الأسباب في كون كازوبون لا يستطيع انهاء مفتاحه لكافة الميثولوجيات مرجع في نظر ابن عمه الشاب ويل لاديسلاف إلى انه غير مطلع على الأبحاث العلمية الألمانية . ذلك ان كازوبون لم يختر موضوعا « متغيرا كالكيمياء : الاكتشافات الجديدة تقود باستمرار نحو قيام وجهات نظر جديدة » فحسب ، بل إنه يضطلع بمهمة تشبه دحضا لباراسيلزوس لأنه « كما تعرف ، ليس مستشرقا »[١٥] .

لم تكن إليوت مخطئة في تضمينها القول إنه عند حوالي العام ١٨٣٠ ، حيث تبدأ أحداث روايتها « ميدل مارش » ، كان البحث العلمي الألماني قد بلغ تفوقه الأوروبي كاملا ، ومع ذلك ففي أي وقت من الأوقات خلال الثلثين الأولين من القرن التاسع عشر لم يتسن لشراكة وثيقة ان تتطور داخل البحث العلمي الألماني بين المستشرقين واهتمام قومي بالشرق طويل الأمد ومتواصل . ففي المانيا لم يوجد شيء مقابل للحضور الانجلو ــ فرنسي في الهند والليفانت وشمال افريقيا . وفضلا من ذلك ، فالشرق الألماني كان مقتصرا تقريبا على شرق علمي ، أو على الأقل كلاسيكي : فالألمان جعلوا من الشرق موضوعا للشعر الغنائي والخيال وحتى للروايات ، لكنه لم يكن واقعا فعليا على الاطلاق ، على النحو الذي مثلته مصر وسوريا لكل من شاتوبريان ولين ولامارتين وبورتن ودزرائيلي أو نرفال . وهناك شيء من المغزى والدلالة في الحقيقة التي مفادها ان العملين الالمانيين الأوسع شهرة، عن الشرق ، وهما كتاب غوته « الديوان الشرقي الغربي » ودراسة فردريك شليغل عن « لغة الهنود وحكمتهم » قد استندا بالتتالي الى رحلة على نهر الراين وساعات أمضاها المؤلف في مكتبات باريس . إن ما فعله علم الاستشراق الألماني هو تحسين وتوسيع التقنيات التي جرى تطبيقها على نصوص وأساطير وأفكار ولغات جرى تجميعها حرفيا تقريبا من الشرق على يد امبراطوريتي بريطانيا وفرنسا .

ومع ذلك فان القاسم المشترك بين الاستشراق الألماني والاستشراق الانجلو ــ فرنسي ، والأميركي لاحقا ، هو امتلاك نوع من **السلطة** الفكرية على الشرق ضمن الحضارة الغربية . هذه السلطة يجب ان تؤلف في القسم الأكبر منها موضوع أي وصف للاستشراق ، والأمر هو كذلك في هذه الدراسة . حتى ان اسم « **الاستشراق** » يوحي بوجود اسلوب جدي في الشرح والتعليق الماهرين ، وربما اسلوبا مملا ومضجرا .

حين أقوم باطلاق لفظة استشراق على علماء الاجتماع الاميركيين المحدثين (وبما أنهم لا يطلقون على أنفسهم تسمية مستشرقين ، فان استخدامي لهذه اللفظة غير سوي) ، فالهدف